E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

موقف الاستعمار الفرنسي من المدارس القرآنية وشيوخ الصوفية في غرب إفريقيا

The Attitude of French Colonialism Towards the Koranic Schools and Sufi Sheikhs in West Africa

أحمد عباد(*)

جامعة غرداية

ighezar@gmail.com

أ.د. صالح بوسليم

جامعة غرداية

salah_ghar@hotmail.fr

تاريخ الإيداع: **2019/01/21** تاريخ النشر: **2019/03/05**

الملخص:

في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي سيطرت فرنسا عسكرياً على الجزء الأعظم من غرب إفريقيا، لكن تلك السيطرة لم تكن كاملة وظلت مصالحها السياسية والاقتصادية مهدّدة في تلك المنطقة. فإذا كانت فرنسا قد واجهت مقاومة مسلحة شديدة، واستطاعت أن تقضي عليها بالقوة، فإنها وجدت صعوبات جمّة في التحكم بشعوب وقبائل غرب إفريقيا، التي كان يدين غالبيتها بالإسلام .

ومن بين هذه الصعوبات، جهل فرنسا بالإسلام، الذي كانت له خصوصية تميزه عن باقي المناطق الأخرى التي سيطرت عليها فرنسا، مثل شمال إفريقيا، وبذلك شابَ سياستَها اتجاه المسلمين عامة وشيوخ الصوفية خاصة، الكثير من الغموض والتقلب. وللخروج من هذا المأزق، بدأ الاهتمام بدراسة الإسلام في غرب إفريقيا، من أجل فهم أحسن لعقلية وتفكير المسلمين ورجال الدين منهم، وبالتالي تسطير سياسة إسلامية واضحة، تُمكنها من استمالة المسلمين إليها واستتباب الأمن اللازم؛ للاستفادة إلى أقصى الحدود من الفرص والثروات الاقتصادية الهائلة في منطقة غرب إفريقيا.

الكلمات الدالة:

.الاستعمار الفرنسي؛ غرب إفريقيا؛ الإسلام؛ المدارس القرآنية؛ القادرية؛ التيجانية؛ إفريقيا جنوب الصحراء

Abstract:

By the end of the 19th century, France controlled most of West Africa militarily, but that control was not complete and its political and economic interests remained threatened in that region. If France faced severe armed resistance and managed to eradicate it by force, it found great difficulties in controlling the peoples and tribes

(*) المؤلف المرسل: عباد أحمد ighezar@gmail.com

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

of West Africa, of which Islam was the religion of the majority. Among these difficulties is France's ignorance of Islam, which had its own distinctiveness from Islam in the other areas that France had dominated, such as North Africa.

Thus, its policy toward the Muslims in general and the Sufi sheikhs in particular was much ambiguous. In order to get out of this impasse, the interest in studying Islam in West Africa has begun to better understand the mentality and thinking of Muslims and their clerics, and thus establish a clear Islamic policy enabling the French to attract Muslims and establish the necessary security to take full advantage of the vast economic opportunities and wealth in West Africa.

Key Words :
French colonialism; West Africa, Islam, Quranic schools, Qadiriyah, Tijaniyah, Sub-Saharan Africa

بعد أن انتشر الإسلام في ربوع منطقة غرب إفريقيا عبر الدعاة والتجار، بدأت طلائع الاحتلال الفرنسي تتوغل في المنطقة في جهتها الساحلية خلال القرن التاسع عشر ميلادي، وبالذات في السينغال، لكن الفرق يكمن في أن الإسلام، وبدون تردد، دخل المنطقة إلى حد بعيد بسهولة وسلاسة، ولم يواجه إلا مقاومة ضعيفة من دول وسكان المنطقة، والفضل في ذلك يعود بصفة خاصة إلى الطرق الصوفية التي تفانى أتباعها بشكل كبير في نشر الإسلام، ولعل الصراع الذي كان بين الطريقتين القادرية والتيجانية، كان له الأثر البالغ في ذلك. وعلى العكس من ذلك كان توسُّع وانتشار فرنسا في المنطقة قد تأخر بشكل لافت حتى القرن التاسع عشر الميلادي، رغم أن الحضور الفرنسي بالمنطقة بدأ منذ القرن السابع عشر ميلادي، ومُبرِّر ذلك يعود لعوامل طبيعية وسياسية واقتصادية.

وعندما أراد الفرنسيون، خلال القرن التاسع عشر الميلادي، التوسع والانتشار في المناطق الداخلية بغرب إفريقيا واجهوا مقاومة شديدة من شعوب وقبائل تلك المنطقة، والمثير للاهتمام هو أن الإسلام، الوافد الجديد في المنطقة، هو الذي قاد لواء هذه المقاومة، حيث كانت أهم المقاومات ضد الاستعمار الفرنسي في غرب إفريقيا تحت قيادة زعماء دينيين مسلمين.

ولما تمكنت فرنسا من فرض سيطرتها على مناطق غرب إفريقيا الساحلية والداخلية مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، كان من بين أهم التحديات التي واجهتها في المنطقة هو طريقة التعامل مع المسلمين الذين كانوا يشكلون غالبية سكان غرب إفريقيا، والأخص منهم شيوخ الصوفية الذين كان لهم تأثير سياسي وديني كبير على السكان ولطالما كانوا هاجساً للسلطات الاستعمارية. أمام هذا التحدي وجدت فرنسا نفسها مُجبرة على إيجاد السياسة المُثلى التي يمكن

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

أن تتعامل بها مع المسلمين وشيوخ الصوفية؛ بما يضمن الأمن والاستقرار في المنطقة، وبالتالي تسهيل عملية الاستغلال الاقتصادي والتجاري للمنطقة.

وجدير بالذكر، أنه في البداية كان هناك تخبط لدى السلطات الفرنسية في اختيار السياسة الملائمة، ويعود ذلك لعوامل وظروف ترتبط بالشأن الداخلي الفرنسي؛ وبواقع منطقة غرب إفريقيا، لكن مع مطلع القرن العشرين ميلادي اتّضحت هذه السياسة، وبدأت تُثمر وتُطمئِن الإدارة الفرنسية العاملة بالمنطقة، وكانت الحرب العالمية الأولى الاختبار الحقيقي الأول لمعرفة مدى نجاح هذه السياسة.

1- نبذة عن انتشار الإسلام في إفريقيا:

عندما وصل الإسلام إلى افريقيا من جهتها الشمالية، وبالضبط من مصر؛ أخذ انتشاره خطاً أفقياً عموماً نحو بلاد المغرب العربي، ومن بعده جنوب غرب قارة أوروبا، بينما تأخر انتشاره العمودي قليلاً؛ بسبب ربما الصعوبات الطبيعية التي اعترضت ذلك الانتشار، وأهمها امتداد الصحراء الكبرى على مساحات واسعة جدا. وعندما وطَّد المسلمون وجودهم في شمال افريقيا، بدأت أولى محاولات نشر الدين الحنيف في بلاد الصحراء والزنوج.

وقد اختلف المؤرخون حول تاريخ أول اتصال بين الإسلام وبلاد جنوب الصحراء في الجزء الغربي من القارة، أو ما يسمى السودان الغربي، فمنهم من يقول إن أول اتصال كان في عهد القائدَين المسلمَين عقبة بن نافع وموسى بن نصير اللذين وصلا بقواتهما إلى غاية أرض غانا، ويُذكر أن حملة عقبة بن نافع استغرقت خمسة أشهر، عرَّف فيها بالإسلام ومكَّن التجار المسلمين من دخول تلك المناطق[1]، ومنهم من يرى بأن الإسلام انتشر في تلك البلاد منذ القرن السابع الميلادي حيث زارها بعض المؤرخين آنذاك وكتبوا عنها[2]. وإذا كان هناك اختلاف حول تاريخ وصول الاسلام الى السودان الغربي، فهناك شبه اتفاق على أن المرابطين هم الذين بدأوا الخطوة العملية الأولى لنقل الإسلام إلى هناك[3]، وكان دورهم حاسماً وفعالاً في كل السودان الغربي[4]. لقد سيطر المرابطون على أودغشت عاصمة غانا سنة 1055م[5]، واستطاعوا اجتذاب الكثير من زعماء بلاد التكرور والسودان الغربي، وفي تلك البلاد انتشر الإسلام أولاً عند الطبقات العليا، ثم وصل إلى العامة[6].

لقد فتح وصول الإسلام إلى المناطق الصحراوية وبلاد الزنوج المتاخمة للبلاد الاسلامية آفاقاً واسعة للتجار المسلمين الذين وجدوا في تلك البلاد فوائد تجارية عظيمة، حيث كانوا يبيعون الملح ومختلف المنتجات فيها ويحصلون منها على الذهب وريش النعام والعاج، وهذا ما جعلهم يتوغلون أكثر فأكثر في عمق بلاد السودان. فإذا كان هؤلاء التجار يبحثون عن الربح التجاري، فإنهم كذلك ساهموا بطريقة غير مباشرة في نشر الاسلام. لقد أصبح الإسلام والتجارة مرتبطين إلى حدٍ كبير بطرق التجارة الموصلة بين بلاد المغرب وبلاد السودان عبر الصحراء، وأصبح للتجارة

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

دور جليل في نشر الاسلام ببلاد السنغال وأعالي النيجر ومنطقة بحيرة تشاد[7]. وصول الإسلام الى غرب افريقيا في القرن العاشر الميلادي كان عبر الطرق التجارية التالية:

- طريق شمال افريقيا نحو تمبكتو انطلاقا من فاس وتلمسان والقيروان.
- طريق شمال افريقيا نحو بحيرة تشاد انطلاقا من المهدية في تونس وطرابلس وطبرق في ليبيا.
- طريق القاهرة نحو بحيرة تشاد[8].

ورغم أن التجار لم يكونوا دعاة ولا فقهاء، إلا أنهم أدوا عملاً رائعاً في نشر الاسلام، فقد استقدموا الفقهاء والعلماء وشيَّدوا المدارس والمساجد، وتزوجوا بالنساء المحليات، وقد جذبت صفاتهم الحميدة كثيراً من السكان المحليين للانضمام إلى الإسلام[9]، وأصبحوا رُسُلَ الإسلام الأوائل الذين بَذَروه بشكل جيد في نفوس الزنوج[10].

وتزامناً مع هذا الدور الفعَّال الذي أدَّاه التجار، كان هناك طرف حاسم آخر في نشر الإسلام ببلاد السودان الغربي، وهو الطرق الصوفية. قدمت هذه الطرق خدمة كبيرة للإسلام عن طريق نشر تعاليمه والدعوة للتسامح وإنشاء المساجد والزوايا وفتح المدارس[11]، ومن أهم هذه الطرق القادرية، التيجانية، السنوسية والمريدية. أول هذه الطرق التي نشرت الإسلام في بلاد السودان هي الطريقة القادرية التي دخلت تلك البلاد في القرن الخامس عشر ميلادي على يد مهاجرين من واحة توات، وكانت ولاته أول مركز لهم ثم توسعوا حتى وصلوا إلى مدينة تمبكتو[12]. ثاني هذه الطرق هي الطريقة التيجانية التي بزغ شأنها غرب افريقيا خلال القرن التاسع عشر الميلادي، عندما أصبح الحاج عمر الفوتي التكروري من أتباعها ونجح في تأسيس دولة إسلامية في منطقة فوتاتورو[13]. أما الطريقتين الأُخريين، فكان لهما تأثير لكن ليس مثل الطريقتين الأوليين، والجدير بالذكر أن هذه الطرق الصوفية لم تنشر الإسلام فقط بل قاومت أيضاً حملات التنصير والتغلغل الاستعماري في المنطقة.

اشتهر من هذه الطرق الصوفية الكثير من الدعاة الذين وهبوا حياتهم للدعوة الإسلامية، وكان لهم الفضل العظيم في نشر تعاليم الإسلام وتصحيح العقيدة ومواجهة الوثنية، ومنهم حتى من حمل لواء المقاومة المسلحة ضد العدوان الأوربي. ومن أشهر دعاة القادرية، نذكر الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي وصل حتى شمال نيجيريا، وسيدي أحمد البكاي الكنتي في القرن الخامس عشر ميلادي والشيخ المختار الكبير الكنتي[14]، إلى جانب الداعية المصلح القادري عثمان بن فودي، الذي بفضله توسعت وانتشرت الطريقة خلال القرن التاسع عشر الميلادي[15]. أما الطريقة التيجانية، فمن أعلامها الداعية المجاهد الحاج عمر الفوتي، والشيخ إبراهيم عبد الله أنياس، وهو أكثر المشايخ أتباعاً في غرب افريقيا[16].

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

هكذا إذن، وبفضل الفاتحين والتجار والدعاة والطرق الصوفية، تأسَّست عدّة دول إسلامية في السودان الغربي، أهمها دولة غانا التي أسلمت بعد فتح المرابطين لها، ودولة مالي التي نشرت الإسلام وحضارته، ودولة صنغاي التي وسَّعت الإسلام جنوباً[17].

2- نبذة عن الاستعمار الفرنسي في غرب إفريقيا:

كان يغلب على علاقة فرنسا بغرب إفريقيا في البداية الطابع التجاري، كما كان الشأن بالنسبة لبقية البلدان الأوربية الأخرى، وهي العلاقة التي نشأت منذ القرن السابع عشر ميلادي، لما شيَّد الفرنسيون أول محطة تجارية لهم في السنغال وهي سان لويس، ثم تطوَّرت هذه العلاقة إلى علاقة سياسية؛ تُوِّجَت بفرض الهيمنة الاستعمارية الفرنسية على المنطقة. وخلال القرن التاسع عشر الميلادي عرف الاهتمام الأوربي بغرب إفريقيا تذبذباً، وهذا تماشياً مع الواقع السياسي الفرنسي الداخلي، وعلاقة فرنسا بالدول الأوربية. ففي مطلع هذا القرن أبدت فرنسا اهتماماً كبيراً بالقارة السمراء أملاً في الحصول على مستعمرات تصنع قوتها، وتعيدها إلى مصاف الإمبراطوريات الاستعمارية الكبرى، بعد أن فقدت الكثير من أراضيها إثر هزيمة نابليون. لقد كانت فرنسا في هذه المرحلة في مؤخرة القوى الاستعمارية الأوربية، حيث كانت تمتلك الريونيون La Réunion، الغوادلوب La Guadeloupe، المارتينيك La Martinique، غويانا الفرنسية La Guyane française[18]، بالإضافة إلى محطتين تجاريتين في إفريقيا هما سان لويس وغوري، وخمس محطات في الهند فقط[19]، وهذا ما دفعها إلى توجيه أطماعها نحو إفريقيا بسبب القُرب الجغرافي لها، واستغلالاً للفرص الاقتصادية الهائلة التي قد توفرها للاقتصاد الفرنسي. وعندما ظهرت فكرة إنشاء الإمبراطورية الفرنسية مجدداً، وذلك خلال فترة حكم نابليون الثالث (1848-1870م)، كانت النتيجة تحقيق انجازات مهمة في التوسع الفرنسي داخل أراضي السنغال. وبعد مؤتمر برلين (1884-1885م)، بلغ الاهتمام الفرنسي بغرب إفريقيا أوَّجه، حيث تمكَّنت فرنسا من ضم أجزاءٍ واسعةٍ من المنطقة في زمن قصير جداً. والحقيقة أن تقدم فرنسا في غرب إفريقيا كان يسير بشكل بطيء حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي[20]، ثم تسارعت وتيرته في النصف الثاني منه وفق سياسة تميَّزت بالحذر والصبر[21]، وركَّز هذا التقدم على ثلاث مناطق جغرافية كبرى، وهي:

أ-سنغامبيا:

تعتبر هذه المنطقة أول منطقة وصل إليها الفرنسيون في غرب إفريقيا، وذلك خلال القرن السابع عشر الميلادي، حيث أقاموا هناك أول محطة تجارية لهم سنة 1626م[22]، وهي محطة "سان لويس" قرب مصب نهر السنغال في المحيط الأطلسي، وبعدها بثمانية عشر سنة انتزعوا جزيرة "غوري" من الهولنديين[23]. ويعود الفضل في توطيد الوجود الفرنسي بساحل السنغال في البداية إلى أندري بري André Bruë، الذي عينته فرنسا ممثلاً لها بالمنطقة مرتين، الأولى سنة

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

1687م، والثانية سنة ـ1714م. تمكن "بري" من إنشاء عدة محطات تجارية على نهر السنغال، وأبرم اتفاقية مع أحد زعماء القبائل الكبرى في المنطقة، مما ساعد على ازدهار التجارة الفرنسية هناك[24]، ولذلك يُعتبر بري واضع أسس الإمبراطورية الفرنسية في غرب إفريقيا. تأخر التوسع الفرنسي في داخل المنطقة حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي عندما جاء الجنرال لويس فيدهيرب حاكماً للسنغال عام 1854م، والذي كثَّف من الرحلات الاستكشافية وتوقيع معاهدات التجارة والحماية مع الزعماء القبليين، واستخدام القوة العسكرية إن لزم الأمر لسحق أي تمرد أو مقاومة. استطاع فيدهيرب في ظرف أربعة سنوات من مجيئه، توسيع مساحة مستعمرة السنغال، حتى بلغت ستمائة ألف كيلومتر مربع[25]، وتمكَّن من إيقاف زحف المقاوم الحاج عمر عام 1857م[26]، وأجبر قبائل الترارزة والبراكنة المورية على توقيع معاهدات السلام سنة ـ1858م[27]، وفي سنة 1865م ألحق منطقة الكايور Le Cayor بمستعمرة السنغال[28].

ب-خليج غينيا:

بدأ الاهتمام الفرنسي بساحل غينيا في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، بعد إقامة المحطات الفرنسية على ساحل السنغال، والرغبة في الوصول إلى أسواق العبيد بالمنطقة. نجحت في إقامة أول محطة فرنسية بالخليج هي محطة أسيني Assinie على ساحل كوت ديفوار[29]، وتعزَّز الوجود الفرنسي في المنطقة بالحصول على ميناء آخر هو غراند بسام Grand Bassam، وفي القرن الثامن عشر ميلادي سيطرت فرنسا على مواني عديدة بأرض البنين على طول ساحل خليج غينيا وهي ويداه Ouidah ، غراند بوبو Grand Popo، بورتو نوفو Porto Novo وكوتونو Cotonou[30]. ولما جاء عهد العمليات العسكرية التوسعية بعد قيام الجمهورية الثالثة، استكمَلَت فرنسا السيطرة عل الأراضي الواقعة خلف محطاتها التجارية على ساحل غينيا، ففي كوت ديفوار وصل نفوذها إلى غاية حدود ليبيريا سنة 1891م[31]، وفي البنين أحكمت فرنسا هيمنتها النهائية على المناطق الداخلية بفضل الحملة العسكرية للجنرال دودس Dodds مابين 1893 و1894م[32].

ج-حوض نهر النيجر:

تأخَّر دخول الفرنسيين إلى المنطقة حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي؛ بسبب وجود الحواجز الطبيعية، والانشغال بتأمين المناطق الساحلية، وشراسة المقاومة التي واجهوها. اعتمدت سياسة الحاكم العام فيدهيرب لإخضاع المنطقة على محاولة التقرب من الزعماء وشيوخ القبائل وعقد علاقات تجارية معهم، منهم خاصة الزعيم المقاوم أحمادو شيخو الذي حَمَل لواء المقاومة ضد الفرنسيين لعدة سنوات بعد وفاة والده الحاج عمر الفوتي. استطاع فيدهيرب تحقيق بعض التقدم في حوض النيجر، وبعد رحيله تواصل التوسع إما باستعمال القوة أوعن طريق المفاوضات[33]، وبدأت ثمار هذه السياسة تظهر مع استسلام أحمادو شيخو مؤقتاً سنة 1881م،

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

وتوقيعه على معاهدة الحماية ما سمح لفرنسا بمد نفوذها إلى مجرى النيجر من منابعه حتى مدينة تمبكتو[34]. سيطر الفرنسيون على بماكو عام 1883م[35] ثم مدينة سيجو عاصمة إمبراطورية التكرور الواقعة على نهر النيجر عام 1890م، وهذا ما مدَّ النفوذ الفرنسي إلى بوركينا فاسو[36].بعد ذلك زحف الفرنسيون على طول نهر النيجر، فسيطروا على جِني ثم تمبكتو عام 1894م بعد مقاومة شرسة من الطوارق[37]، وفي عام 1898م تمكّن الفرنسيون من ربط بوركينا فاسو في الشمال مع كوت ديفوار في الجنوب[38].

وبالسيطرة على كل هذه المناطق، استطاعت فرنسا في النهاية بناء إمبراطورية في غرب إفريقيا بلغت مساحتها أربعة ملايين وستمائة ألف كيلومتر مربع، أي سُدُس القارة الإفريقية[39]، وهي الإمبراطورية التي حملت مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي اسم إفريقيا الغربية الفرنسية[40]، وضمَّت دول السنغال، موريتانيا، السودان الفرنسي (مالي)، غينيا كوناكري، كوت ديفوار، البنين، النيجر وبوركينافاسو[41].

3- السياسة الفرنسية اتجاه الإسلام والمسلمين:

عند بداية توغل الاستعمار الفرنسي في غرب إفريقيا خلال القرن التاسع عشر الميلادي تقريباً، لم تكن هناك سياسة فرنسية واضحة اتجاه الإسلام، وذلك لسببين رئيسيين، أولهما: بسبب انشغال الاستعمار بالعمليات العسكرية للتوسع واستباب الأمن، وثانيهما: يعود لعدم وجود معرفة كافية لدى الفرنسيين بالإسلام والمسلمين في المنطقة وبخصوصياتها. ثم إن التعرف على الإسلام وطريقة تفكير المسلمين في غرب إفريقيا كان ضرورة مهمة للسلطات الفرنسية، حتى يستطيع التعامل مع المستعمرات التي يسيطر عليها الإسلام[42].

وقبيل نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وبعد أن فرضت فرنسا وجودها في أرجاء واسعة من غرب إفريقيا وإعلانها عن تأسيس فيدرالية إفريقيا الغربية الفرنسية، أصبحت معرفة ودراسة الإسلام ضرورة ملِّحة. ما بين 1887و1888م، لذا فقد كُلِّف ألفريد لوشاتليي Le châtelier، وهو ضابط عسكري متعلم وعارف بالشؤون الإسلامية وذو تجربة في الجزائر، بمهمة القيام بدراسة للإسلام في غرب إفريقيا[43]، ومع نهاية القرن أسَّس "مجلة العالم الإسلامي" التي خصَّصت الكثير من مواضيعها واهتمامها لمنطقة غرب إفريقيا[44]. أيضا قام الحاكم العام للجزائر جول كامبون Cambon بإرسال عدة مترجمين ومرشدين جزائريين إلى المتلكات الفرنسية الجديدة في إفريقيا الغربية والاستوائية بغرض التعرف عليها، وتحت إشرافه كتب كسافييه كوبولاني Coppolani وأوكتاف دوبون Depont دراستهما الضخمة حول الطرق الصوفية الإسلامية التي أوصيا فيها بضرورة تقرب الحكومة الإستعمارية من زعماء هذه الطرق[45].

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

ومع مطلع القرن العشرين ميلادي، كثَّفت السلطات الفرنسية من عمليات تكوين الطاقم الإداري في مسألة التعرف على الإسلام في مؤسسات تكوينية وتعليمية، مثل "المدرسة الاستعمارية "، و" مركز الدراسات العليا للإدارة الإسلامية CHEAM"[46].ومع إنشاء "مصلحة الشؤون الإسلامية والصحراوية" في باريس سنة 1900م، و"مصلحة الشؤون الإسلامية" في دكار سنة 1906م، كانت البداية الفعلية وميلاد السياسة الفرنسية الواضحة اتجاه الإسلام[47]، وقد تأسَّست "مصلحة الشؤون الإسلامية" على يد الحاكم العام لإفريقيا الغربية الفرنسية أرنست روم Roume ؛ بغرض جمع وتنظيم المعلومات حول كل المدرسين والعلماء ورجال الدين المسلمين بالمنطقة[48]. ومن أجل تفعيل هذه السياسة أُنشأت ما بين 1911 و1937م لجنة وزاوية مشتركة للشؤون الإسلامية تجمع عدة وزارات بفرنسا[49].

وعندما وصلت الحاكم العام روم عدّة تقارير عن زيادة النشاط الإسلامي في غرب إفريقيا، طلب من حكام الأقاليم جمع معلومات عن الشخصيات الإسلامية، وأرسل روبير أرنو Arnaudفي مهمة لتقصي حالة الإسلام في المستعمرات بغرب إفريقيا، وإعداد كتاب يتضمن تعليمات حول السياسة الإسلامية، بحيث يكون معتمداً لدى الإداريين الاستعماريين في إفريقيا الغربية الفرنسية، وهذا ما حصل فعلاً عندما أصدر أرنو كتابه تحت عنوان: "شرح للسياسة الإسلامية Précis de politique musulmane"[50]. واستكمالاً لهذه السياسة وإعطائها دفعة جديدة، أنشأت فرنسا في غرب إفريقيا " قسم الشؤون الإسلامية " في مارس 1923م، خلفاً لمصلحة الشؤون الإسلامية، وكان الهدف منه مراقبة النشاط الإسلامي في غرب إفريقيا ومنع أي تأثير إسلامي خارجي أو عمل عدائي ضد فرنسا، وقد ترأسه الكابتن أندريه مستشار الحاكم العام في إفريقيا الغربية الفرنسية للشؤون الإسلامية[51].

وهكذا بقي الاهتمام بدراسة الإسلام، حتى العقد الأخير من عمر الاستعمار الفرنسي في غرب إفريقيا، حيث قامت السلطات الفرنسية برعاية عدة أبحاث وندوات ومؤتمرات حول الإسلام، مثل "ندوة الحكام (الاستعماريين) حول المشكلة الإسلامية في إفريقيا الغربية الفرنسية" سنة 1955م، و"بعثة حول القوى الإسلامية في إفريقيا الغربية الفرنسية" سنة 1952م[52].

4- موقف الاستعمار الفرنسي من المدارس القرآنية:

بالتوازي مع انتشار الإسلام والطرق الصوفية في غرب إفريقيا، انتشرت المدارس القرآنية في كامل أرجاء هذه المنطقة. وكانت القبائل التي أسلمت ترسل أبناءها لتعلم القرآن الكريم ودراسة مختلف العلوم الشرعية، لأنها كانت ترى في ذلك واجباً دينياً مقدّساً، والعامل الآخر الذي ساعد على انتشارها هو غياب أي بديل في مجال التعليم. هذا الأمر كان موجودا أيضاً في شمال إفريقيا، أين كانت المدارس القرآنية تؤدي دوراً حيوياً في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم أصول اللغة العربية والعلوم الشرعية المختلفة.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

وكان أغلب هذه المدارس المنتشرة في غرب إفريقيا تابعة للطرق الصوفية المتصارعة في المنطقة، وكانت المدرسة في حد ذاتها؛ بمثابة نوع من أنواع إثبات الذات لدى زعماء هذه الطرق. كما كانت كل مدرسة تسيّر تحت إشراف معلم، وكان الطلبة يدرسون فيها صباحاً ومساءً، وإلى جانب التعليم كان الطلبة يقومون بأعمال التنظيف داخل المدارس وحتى ممارسة الزراعة. بطبيعة الحال كانت السلطات الاستعمارية الفرنسية تعتبر هذه المدارس خطراً عليها لأنها كانت تؤثر سلباً على سياستها اتجاه الأفارقة في المنطقة. فها هو الحاكم الفرنسي للسنغال ما بين 1911 و1914م، كور Cor، يقول: "لا أحد يجهل الآثار السلبية لهذه المدارس (المدارس القرآنية) على المستويين الاجتماعي والسياسي، من جهة هي تحْرِم التلاميذ الذين يرتادونها من فوائد التعليم الفرنسي، ومن جهة ثانية، بسبب التعليم الديني، هي تصنع حاجزاً بيننا وبين جيل الشباب"[53]. على العكس من ذلك دعى بعض الفرنسيين إلى ضرورة الحفاظ على هذه المدارس واستغلالها في خدمة السياسة الفرنسية، مثل ميرو Mairot، مفتش التعليم في إفريقيا الغربية الفرنسية والمولود بالجزائر، الذي رأى فيها وسيلة ممكنة لخلق الاحترام والتجانس بين فرنسا ومسلمي غرب إفريقيا، وعن ذلك يقول: «إلغاء المدارس القرآنية سيكون خطيراً، والتخلي عن الاهتمام بها سيكون جنوناً"[54].

إلى غاية بداية الحرب العالمية الأولى، كانت فرنسا تحاول مراقبة وتضييق الخناق على المدارس القرآنية والمعلمين فيها، عن طريق اتخاذ العديد من التدابير وإصدار المراسيم لهذا الغرض. في 1857م صدر مرسوم يشترط الحصول على رخصة من السلطات الاستعمارية لفتح مدرسة قرآنية[55]، لكنه لم يُطبَّق بسبب انشغال فرنسا بالتوسع العسكري في غرب إفريقيا. كان أول من قام بمراقبة المدارس القرآنية هو الجنرال فيدهيرب، حيث أصدر مرسوماً في 22 جوان 1857م يشترط على كل مدرسة في سان لويس بالسنغال رخصة من الادارة الفرنسية، ويجب أن يكون المعلم فيها من سان لويس وعاش فيها أكثر من 7 سنوات، وكان هدف هذا المرسوم، هو منع تغلغل المعلمين والدعاة التيجانيين إلى المدينة[56]. وفي سنة 1905م صدر مرسوم جديد يشترط الحصول على الترخيص لفتح المدارس القرآنية يشبه مرسوم 1857م الآنف الذكر، واشترط أيضاً على أصحاب المدارس القرآنية إرسال طلبتهم إلى المدارس الفرنسية -إن كانت قريبة- للتعلم فيها لمدة ساعتين على الأقل يومياً[57]. وفي 1903م كان حاكم السنغال كامي غي Camille Guy رافضاً للحرية التي كانت تتمتع بها المدارس القرآنية بينما كان فيه مجبراً على إغلاق المدارس التبشيرية، وهذا ما جعله يُصدر مرسومًا ينص على إغلاق كل مدرسة قرآنية لا يوجد فيها 20 طالباً أو أكثر، ويمنع تحفيظ القرآن الكريم أثناء أوقات التعليم الفرنسي، واشترط حضور الطلبة الأفارقة للتعليم في المدارس الفرنسية؛ كي يواصلوا حفظ القرآن الكريم. كما دعى المرسوم إلى مراجعة كفاءة المعلمين في هذه المدارس عن طريق علماء مسلمين محليين يتم اختيارهم من طرف الإدارة

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الفرنسية. ونتيجة لهذا المرسوم، تم الاعتراف بكفاءة 51 معلماً فقط من أصل 202 كانوا يدرِّسون ويديرون مدارس قرآنية. في بقية السنغال 28 معلماً فقط من أصل 95 حصلوا على الترخيص الرسمي[58].

وهكذا بقيت السياسة الفرنسية اتجاه المدارس القرآنية في إفريقيا الغربية الفرنسية دون تأثير واضح، ولعل السبب في ذلك كان انشغال فرنسا بالتوسع العسكري لإخضاع أقاليم المنطقة، وهزيمة فرنسا أمام ألمانيا سنة 1870م، والتي أثرت على السياسة الفرنسية داخلياً وخارجياً، والدليل على صحة هذا الكلام، هو التزايد المطَّرد لعدد المدارس القرآنية في المنطقة، رغم التضييق الفرنسي. ففي 1854م كانت هناك 27 مدرسة قرآنية في سان لويس، وبعد ثلاث سنوات ارتفع العدد إلى 40 مدرسة، وفي 1899م كان عددها 90. في نفس المدينة كان عدد معلمي القرآن 107 معلم سنة 1904، وفي دكار 42، وفي روفيسك 50. وفي غوري[59]. وفي كامل أرجاء السنغال بلغ مجموع المدارس القرآنية 1385 مدرسة سنة 1914م، يدرس فيها 11451 طالب[60].

ولإضعاف المدارس القرآنية وضربها، حاولت فرنسا أيضاً إدخال بعض الإصلاحات على هذه المدارس، ففي 28 فبراير 1870م أصدرت السلطات الفرنسية مرسوماً يشترط على معلم القرآن الكريم تمكُّنه من اللغة الفرنسية حتى يقوم بتعليمها لطلبته، وكل طالب لا يتعلم اللغة الفرنسية في المدرسة القرآنية خلال عامين سينقل إلى المدرسة الفرنسية تلقائياً، غير أن هذا المرسوم بقي دون تجسيد خوفاً من رد فعل مسلمي المنطقة، وهذا ما كانت فرنسا في غنى عنه آنذاك[61]. كما أرادت فرنسا التأثير على المدارس القرآنية عن طريق فرنَسة المعلمين فيها، وذلك بإدخال الموظفين عندها، مثل المترجمين وموظفي المحاكم والكُتَّاب الإداريين كمعلمين فيها[62].

وعلى ضوء ما سبق، يتّضح لنا التحدي الذي كانت تمثله المدارس القرآنية بالنسبة للسلطات الاستعمارية الفرنسية في غرب إفريقيا، فمن جهة كان صعباً عليها إغلاقها[63]، ومن جهة ثانية كانت تتخبط وتتردد في كيفية التعامل معها والتحكم فيها. انطلاقا من هذا التحدي بحثت الإدارة الاستعمارية عن الوسيلة الناجعة لمواجهة المدارس القرآنية وإضعاف تأثيرها الديني على الأفارقة، وبالتالي اضعاف التعصب الديني الإسلامي الذي طالما اعتبرته النتيجة الطبيعية لهذه المدارس. هذه الوسيلة ستكون إقامة المدارس الفرنسية في غرب إفريقيا، وكان الجنرال فيدهيرب أول من تنبَّه لمسألة المدارس الفرنسية والدور الذي قد تلعبه في مواجهة الخطر الإسلامي، ففي 11 أفريل 1856م كتب لوزير البحرية يقول: «الإسلام يحيط بنا من كل الجهات. منذ سنتين، عدد المسلمين في سنغامبيا تضاعف ونفس الشئ في سان لويس"، ودعاه في نفس الرسالة إلى عدم تجاهل المسلمين الذين يشكلون نواة العمال لدى فرنسا والمتطوعين في جيشها[64]. تنفيذاً لرؤييه حول التعليم أسَّس فيدهيرب أول مدرسة لائكية في سان لويس شهر مارس 1857م، وأضاف مدرسة

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

ثانية سنة 1864م، ومن أجل زيادة التأثير الفرنسي قام فيدهيرب بفتح مدارس فرنسية أخرى في المناطق الداخلية في كل من داغانا Dagana، بودور Podor وباكل Bakel[65].

في الواقع، بدأ التعليم الرسمي الفرنسي في غرب إفريقيا قبل مجيء الجنرال فيدهيرب، حيث يعود تاريخ إنشاء أول مؤسسة تعليمية في السنغال إلى سنة 1817م[66]، لكن على العموم كان التعليم التبشيري هو الغالب في المنطقة لانشغال السلطات الفرنسية بغزو المناطق الداخلية في غرب إفريقيا[67]. لم يتمكن التعليم التبشيري من فرض وجوده والتغلغل في المناطق الداخلية بشكل مؤثر، والسبب الواضح هو قوة التعليم الديني الإسلامي في غرب إفريقيا. لا ننسى أيضا بأن الأفكار اللائكية التي ظهرت بعد نجاح الثورة الفرنسية نهاية القرن 18م، تغلغلت في الحياة السياسية والإدارة، وبالتالي كانت العلاقة بين الإداريين والمسؤولين الفرنسيين من جهة والمبشِّرين من جهة ثانية فاترة على العموم. لكن الضربة القاضية التي تلقاها التعليم التبشيري كانت مع بداية القرن العشرين ميلادي، لما صدر قانون 1 ديسمبر 1905م الذي فصل الدين عن الدولة، وكانت النتيجة إغلاق المدارس التبشيرية بما فيها تلك الموجودة في غرب إفريقيا. بطبيعة الحال لم يستسغ رجال الدين المسيحيين هذا القانون، وهنا يُعبِّر الأب بازان Bazin، رئيس الآباء البِيض في إفريقيا الغربية الفرنسية سنة 1908م عن ذلك، حيث قال: «الإسلام هو خطيئة أوربا في إفريقيا. قد تدفع ثمن ذلك غالبا"[68].

وبعد مغادرة فيدهيرب، خفتت السياسة الفرنسية في مجال التعليم بغرب إفريقيا، وذلك بسبب التقشف وآثار هزيمة 1870م، وحتى المدارس التي فُتحت في المناطق الداخلة أغلقت، وأغلقت إحدى المدرستين في سان اويس وكادت الثانية تلقى نفس المصير[69]، لكن مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي عاد النشاط التعليمي الفرنسي من جديد إلى المستعمرات، فقامت فرنسا بفتح 40 مدرسة رسمية ما بين 1892 و1898م في الأقاليم التي وقعت تحت حمايتها[70].

كما أن السياسة التعليمية الفرنسية في غرب إفريقيا، لم تتّضح معالمها إلا بعد أن انتهت من العمل العسكري، وسيطرت بشكل كلي على ما أصبح يعرف باسم إفريقيا الغربية الفرنسية، ابتداءاً من سنة 1895م. ومع مطلع القرن العشرين ميلادي زاد اهتمام الحكومة الاستعمارية بالتعليم[71]. وكانت الانطلاقة مع المرسوم الذي أصدره الحاكم العام روم Roume في 24 نوفمبر1903م، والذي أسَّس للتعليم اللائكي في السنغال وأكَّد على مجانيته وعدم إجباريته[72]. في 1908م حدَّد الحاكم العام بونتي الهدفين الرئيسين للتعليم الفرنسي، أولاً التعليم يجب أن يكون الوسيلة الفعالة لتبليغ "الرسالة الحضارية" لفرنسا، وثانياً المساهمة في التنمية الاقتصادية للمنطقة. ولبلوغ الهدف أنشأت فرنسا مدارس القرى حتى تكون نقطة الاتصال بين شعوب غرب إفريقيا وفرنسا، وأنشأت المدارس الجهوية لاستقبال التلاميذ المتفوقين من مدارس القرى لتعليمهم وتكوينهم وتحضيرهم كإطارات في المستقبل. أما مدارس المدن، مثل سان لويس، دكار،

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

غوري، رووفيسك، كانت تستقبل التلاميذ الذين يتكلمون الفرنسية وأباؤهم يعملون لدى الإدارة الاستعمارية، وحاولت الحكومة الفرنسية أيضاً فتح مدارس للبنات من أجل تقديم تعليم لهن حول تدبير المنازل، لكن ذلك لم يكن سهلا في مناطق سيطر فيها الإسلام[73]. ولم يكن إقبال الأطفال الأفارقة على هذه المدارس كبيراً ، وذلك لعدة عوامل أبرزها تفضيلهم للمدارس القرآنية، وسياسة الانتقاء التي كانت تنتهجها السلطات الاستعمارية. الإقبال لدى المسلمين على المدارس الفرنسية سيزيد بعد اكتشاف "فائدتها"، ففي 1902م بلغ عدد المسلمين في المدارس الفرنسية بمدينة سان لويس ب 493 طالب بينما كانوا 4 فقط سنة 1876م[74]، ولعل ذلك يُفسر بالفرص التي كانت تمنحها هذه المدارس لخريجيها في سوق العمل، وبالتالي تحسين مستواهم المعيشي والرفع من مكانتهم الاجتماعية. ولزيادة الإقبال على هذه المدارس لدى المسلمين اتخذت السلطات الاستعمارية تدابير عدة، منها انشاء مدرسة سنة 1903م لتكوين المعلمين من الأهالي، لأنهم كانوا أنسب لتعليم الأفارقة من المعلمين الأوربيين[75]. أيضا أصدر الحاكم العام بونتي مرسوماً ينص على أن كل مترشح للمناصب الإدارية يجب عليه امتلاك تعليم لمدة عامين متتاليين في مدرسة فرنسية رسمية[76]، ووصل الأمر بالفرنسيين لتحبيب المدرسة الفرنسية للمسلمين إلى درجة تعليم اللغة العربية وحتى العلوم الدينية الإسلامية فيها[77]. ولما كان الطلبة المسلمين كلهم يلتحقون بالمدارس القرآنية، فقد كان التحاقهم بالمدارس الفرنسية يتم في سن متأخر. ففي سنة 1900م كان أغلب الذين يدخلون المدارس الفرنسية في سن 14و15 سنة[78]، ولحل هذه المشكلة والتأثير على المدارس القرآنية صدر مرسومين في 8نوفمبر1907م و11نوفمبر1911م يحددان السن الأقصى المسموح به للالتحاق بالمدارس الفرنسية وهو 16عاما[79].

ولعلّ أهم شيء ركّز عليه الفرنسيون في مجال التعليم، هو تعليم اللغة الفرنسية التي رأوا فيها الوسيلة الناجعة لإيصال "الرسالة الحضارية" إلى الأفارقة والتأثير على التعليم الإسلامي، بخلق جيل من الشباب الإفريقي المتعلم والمتشبع بالثقافة الفرنسية. يقول ماريانى Mariani: "تعلم لغة مسيحية حية هو الدواء الأكثر فعالية ضد التعصب الإسلامي ... المحمديون الذين يتكلمون الفرنسية أو الانجليزية هم أقل تعصباً وخطراً من نظرائهم الذين يتكلمون العربية، البربرية أو التركية"[80]، وفي 1910م لما كان مفتشاً للتعليم الإسلامي في إفريقيا الغربية الفرنسية، كتب أيضاً خطاباً للحاكم العام بونتي، يؤكد فيه بأن تعلم الفرنسية هو أحسن ترياق ضد خطر الإسلام "الرجعي"[81]. وقد ظهر الاهتمام بتعليم اللغة الفرنسية بشكل واضح في عهد الحاكم العام بونتي الذي كان يرى بأن اللغة العربية غير ملائمة للأفارقة، وأن اللغة الفرنسية أسهل للتعلم والنطق عند الأفارقة من العربية، وتجسيداً لهذا الاقتناع أصدر مرسوماً في ماي 1911م يمنع استخدام اللغة العربية في الشؤون الإدارية والقانونية[82]. وللإشارة فإن اللغة العربية منذ عهد فيدهيرب كانت اللغة المفضلة لدى الفرنسيين في التعامل مع الزعماء الأفارقة، وحتى سنة

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

1906م كانت اللغة العربية جزءاً مهماً في منهاج "المدرسة العادية L'école normale" بمدينة سان لويس[83].

وفي بداية القرن العشرين ميلادي، أرادت فرنسا تجريب النظام التعليمي الذي عملت به بالجزائر في غرب إفريقيا، ولعل اختيار التجربة الجزائرية، كان سببه هو كون أغلب المسؤولين والضباط الاستعماريين الذين عملوا في إفريقيا الغربية الفرنسية؛ سبق لهم وأن عملوا في الجزائر واكتسبوا فيها الخبرة والحنكة اللتين ساهمتا في صعودهم سلم المناصب العليا. وأحسن مثال على ذلك، هو الجنرال فيدهيرب، الذي كتب في أكتوبر سنة 1859م إلى وزير البحرية يقول."أوجُه التشابه بين السنغال والجزائر كاملة. يجب تكييف السينغال مع الجزائر وليس مع المستعمرات الأخرى. السنغال لا يجب أن يكون أكثر من مقاطعة في الجزائر"[84].

وفي 1906م أُرسل كلوزيل إلى الجزائر لدراسة كيفية عمل "المدارس Médersas" هناك[85]، ولاستنساخ التجربة الجزائرية، قامت فرنسا ما بين 1910 و1920م بإنشاء عدة "مدارس" في مستعمراتها، وهي مدارس فرنسية عربية تُدرس فيها العربية والعلوم الدينية الإسلامية إضافة إلى برامج المدارس الرسمية الفرنسية[86]. كان الهدف من هذه المدارس هو ضرب المدارس القرآنية التي كانت مراقبتها صعبة[87]، والمكان الذي تبدأ فيه تنقية "الإسلام الأسود"[88]. أول مدرسة افتتحت في إفريقيا الغربية الفرنسية كانت في مدينة جني Djenné بمالي، وكانت مهمتها تطوير التعليم الإسلامي وتدريب مدرسي المدارس القرآنية وتعليم نخبة من الشباب على كتابة ونطق اللغة الفرنسية[89]. وفي 15 جانفي 1908م أنشأت أول "مدرسة" في سان لويس[90]، ضمَّت 56 طالباً سنة 1910م[91]، وفي الموسم 1916-1917م ارتفع العدد إلى 136 طالب[92].

ولم تكن تجربة "المدارس" ناجحة، بحيث أنها لم تترك تأثيراً واضحاً[93]، ولعل إغلاق مدرسة سان لويس سنة 1927م[94] خير دليل على ذلك. أسباب هذا الفشل تعود إلى ضعف إقبال أبناء المسلمين عليها، ففي عام 1914م كان هناك 633 طالباً فقط يترددون على المدرسة الفرنسية من بين مجموع 11451 طالب[95]، وأيضاً تلاشي السبب الذي كان وراء إنشائها، أي المدارس القرآنية، التي لم تعُد بذلك الخطر الذي اعتقده الفرنسيون. ففي 1913م أكد المتخصِّص في الشؤون الإسلامية بول مارتي Marty بأن المدارس القرآنية لا تشكل أي خطر سياسي على فرنسا، وهذا ما دفع الإدارة الفرنسية إلى التخلي نهائياً عن سياسة مراقبة وتنظيم المدارس القرآنية، حتى في المناطق الملحدة التي كانت تعرف فيها هذه المدارس انتشاراً[96].

5- موقف الاستعمار الفرنسي من شيوخ الصوفية:

عندما وصل الفرنسيون إلى غرب إفريقيا، كانت الطرق الصوفية متجذرة بالمنطقة ونافذة في حياة المسلمين الأفارقة، ووصل الأمر إلى ارتباط إسلام الفرد بانتسابه إلى إحدى الطرق الصوفية، "وأصبح من العادة أن يكون الفرد الإفريقي مسلماً قادرياً أو تيجانياً أو مريدياً أو سنوسياً، ومن

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

غير العادي أن يكون مسلماً غير منتسب لإحدى الطرق الكبرى المعروفة أو الصغرى المتفرغة عنها"[97]. هذا الوضع أعطى لشيوخ هذه الطرق الصوفية سلطة روحية وسياسة واجتماعية كبيرة، وما عزَّز من هذه السلطة هو زوال السلطة السياسية التي كان يمثلها الأمراء والملوك[98] بعد التغلغل الاستعماري الأوربي. ولم يتوقف الأمر عند ذلك الحد، بل أصبح لهذه الطرق تأثير حتى في الحياة الاقتصادية مثل ما حدث في وسط السنغال حيث ساهمت الطريقة المريدية بقوة في تطور زراعة الفول السوداني[99].

وقد اختلف تأثير هذه الطرق في غرب إفريقيا، وكانت الطريقتين التيجانية والقادرية الأكثر تأثيراً لأن انتشارهما كان الأكبر، ليس بالمنطقة فقط، وإنما في مناطق أخرى من العالمين العربي والإسلامي، ومن الطبيعي أن يختلف تعامل السلطات الفرنسية مع هذه الطرق؛ وفق درجة خطورتها وتهديدها للمصالح والسياسة الفرنسية، وعلى العموم كانت الطريقة التيجانية الأكثر صداماً مع فرنسا عكس القادرية التي كانت أكثر قبولاً لدى الفرنسيين[100].

وعندما بدأ الفرنسيون يتغلغلون في المناطق الداخلية لغرب إفريقيا، انطلاقاً من السنغال، واجهوا مقاومة شرسة من طرف المسلمين بقيادة شيوخ الطرق الصوفية ومريديها، ومن أشهر المقاومات التي واجهها الفرنسيون تلك التي كانت بقيادة الحاج عمر الفوتي وابنه أحمادو شيخو من بعده، وتلك التي كانت بقيادة ساموري توري ومامادو لامين حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي كانت العلاقة بين السلطات الفرنسية وشيوخ الصوفية متوترة عموماً.

وبعد قضاء الفرنسين على المقاومة المسلحة للطرق الصوفية وإحكامهم السيطرة على غرب إفريقيا، واجهوا حقيقة مُرة، هي أنهم رغم قضائهم على السلطة السياسية لشيوخ الصوفية، إلا أنهم لم يتمكنوا من القضاء على سلطتهم الروحية والدينية، وبالتالي كان لزاماً عليهم التعامل مع شيوخ الصوفية، فمن جهة دعى البعض إلى ضرورة استئصال سلطتهم مهما كان الثمن، ومن جهة أخرى دعى البعض إلى وجوب استغلالهم والتقرب منهم بالشكل الذي يخدم السلطة الفرنسية. حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي كان التعامل مع هؤلاء الشيوخ يختلف من مستعمرة لأخرى في غرب إفريقيا، واعتمد ذلك على المبادرات الفردية لحكام هذه المستعمرات، أكثر من اعتماده على سياسة فرنسية واضحة في هذا المجال. وعلى العموم، كان المسؤولون الاستعماريون الفرنسيون يجدون نوعا من الارتياح إزاء هؤلاء الزعماء الدينيين، رغم الخطر الذي كانوا يمثلونه، ومرَدُّ ذلك إلى اعتقادهم بأن الإسلام في غرب إفريقيا ليس بذلك الخطر الذي يمثله نظيره في شمال إفريقيا مثلاً. يقول الحاكم العام وليام بونتي: "لحسن الحظ الإسلام في غرب إفريقيا يملك طابعاً خاصاً من فائدتنا الحفاظ عليه. مسلمينا لم يقبلوا القرآن الصافي، مهما كان إيمانهم فإنهم أرادوا الحفاظ على تقاليدهم القديمة "[101].

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

من جانب آخر، نقص الشرعية لدى الاستعمار والتأثير الكبير لهؤلاء الزعماء، استوجب على السلطات الفرنسية التعامل معهم من أجل الحفاظ على الاستقرار السياسي اللازم للإزدهار الاقتصادي بالمنطقة. وفي نفس الوقت وجد شيوخ الصوفية أنفسهم مجبرين على التعامل مع الإدارة الاستعمارية للفرنسية من أجل الحفاظ على سلطتهم الدينية، وهكذا أصبح كل طرف بحاجة إلى الطرف الآخر لضمان مصالحه. وأحسن مثال على هذه الحاجة المتبادلة ما وقع بين الإدارة الاستعمارية وعدوها اللدود أحمادو شيخو. كان أحمادو شيخو ابن الحاج عمر، من أشرس الزعماء الدينيين الذين قاوموا الاستعمار الفرنسي، لكن وبعد القضاء على مقاومته سنة 1875م[102]، وقَّعت معه فرنسا معاهدة سلام سنة 1887م[103]. وفي سنة 1908م قال الحاكم بونتي الطريقة المضمونة للحفاظ على النظام هي أن يكون زعماء الطرق الصوفية معنا دائماً"[104]. ومنذ عهد الجنرال فيدهيرب الذي هزم الحاج عمر الفوتي، كانت سياسة فرنسا اتجاه المسلمين حذرة جداً. فإذا كانت من جهة قد استخدمت القوة ضد المقاومة الإسلامية، فهي من جهة أخرى حاولت قدر الإمكان استمالة المسلمين إليها والتقرب من شيوخ الصوفية خوفاً من الاضطراب والقلاقل التي تهدِّد وجودها وتقوِّض جهودها في استباب الأمن، وبالتالي تحقيق الأهداف الاقتصادية من الاستعمار. كان الجنرال فيدهيرت أول من بادر بتمويل السلطات الاستعمارية للحجاج إلى مكة من أصدقاء فرنسا المسلمين، وذلك حتى تُظْهِر تقديرها واحترامها للعقيدة الإسلامية[105].

ومع تجلي السياسة الفرنسية اتجاه المسلمين، بوضوح كما أسلفنا، أظهر المسؤولون الفرنسيون المزيد من الاحترام لشيوخ الصوفية وذلك لما رأوا فيه من منفعة جمة على المصالح الفرنسية. فإلى جانب تنظيم رحلات الحج، سمح الفرنسيون لشيوخ الصوفية ببناء المساجد مثل المسجد الجديد في دكار الذي حصل على التمويل من الإدارة الاستعمارية في فبراير 1938م[106]. أيضاء كان المسلمون يشغلون أغلب الوظائف مثل كتاب الإدارة ومعلمي المدارس والمترجمين[107]، وكانت فرنسا تفضل الاستعانة بوسطاء مسلمين حيث كانت تجدهم متفهمين مقارنة بالسكان الآخرين، وهنا يشير دولافوس Delafosse إلى أن المعاملة المميَّزة التي حظي بها المسلمون من طرف الإدارة الاستعمارية دفعت الكثير من الأفارقة إلى اعتناق الإسلام أملاً في الحصول على مثل هذه المعاملة[108]. ومن أجل الرفع من قدْرِهم في نظر أتباعهم قامت السلطات الاستعمارية بمنح أوسمة الشرف لشيوخ الصوفية مثل القاضي تمصير نديايي صار Tamsir Ndiaye Sar، الذي كرَّمته بهذا الوسام سنة 1890م[109]. هذه السياسة الخاصة نحو المسلمين عامة وشيوخ الصوفية خاصة، ستبلغ ذروتها عندما أصبح دوكوني De Coppet حاكماً عاماً في سبتمبر 1936م، فقد شدَّد هذا الحاكم على إظهار مزيد من الاحترام للإسلام، ليس فقط لشيوخ الصوفية وإنما أيضاً للشخصيات البارزة الأخرى مثل القضاة والأئمة. وتجسيداً لهذا أصدر مرسوماً في فبراير 1937م

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

يأمر فيه المسؤولين في إفريقيا الغربية الفرنسية بتنظيم حفلات استقبال لأعيان المسلمين، وقام هو شخصياً بتنظيم حفل في دكار، ألقى فيه إمام المسجد الأكبر بالمدينة الحاج مصطفى ديوب خطاباً أثني فيه على دوكوبي، وفي عيد المولد النبوي الشريف قدَّم هبة لمسلمي سان لويس قدرها 1000 فرنك، وفي مارس 1937م طلب من وزير المستعمرات تمويل بناء مسجد جديد وكبير في دكار، وهو ما حصل كما أسلفنا الذكر في فبراير 1938[110].

أما بالنسبة لشيوخ الصوفية، فقد كان التعامل مع السلطات الفرنسية الاستعمارية واقعاً مفروضاً تتحكم فيه مجموعة من العوامل، فبعد القضاء على المقاومات المسلحة التي قادها أسلافهم أمثال الحاج عمر ومامادو لامين وساموري توري، وجد هؤلاء الشيوخ أنفسهم في موقف ضعف استلزم الخضوع للإدارة الاستعمارية، وفي نفس الوقت اقتنع الشيوخ بأن استمرار نشاطهم مرهون بترخيص ومواقفة الإدارة الاستعمارية حيث كان بناء المساجد وتنظيم "الزيارات"[111] والتجمعات الدينية يتوقف على التصاريح التي تمنحها هذه السلطات[112]. النتيجة في النهاية كانت ميلاد علاقة ودية بين الطرفين استمرت إلى غاية الاستقلال. غير أنه لم يكن هؤلاء الشيوخ على نفس الموقف من السياسة الفرنسية، فالأغلبية منهم وافقت على التعامل مع السلطات الاستعمارية، أما الأقلية فقد رفضت لكن في النهاية استسلمت للأمر الواقع بعدما تعرض الشيوخ للتضييق والسجن والنفي.

من شيوخ الطرق الصوفية الذين تعاونوا مع فرنسا خلال القرن التاسع عشر الميلادي، نذكر الشيخين القادريين، سعد بو، الذي كان خدوماً وناصحاً للإدارة الفرنسية مقابل حصوله على الامتيازات، والشيخ بو كونتا في بلاد كايور، والذي كان قد ساعد الجنرال فيدهيرب في حملاته العسكرية سنة 1860م وساهم في الغزو النهائي لمنطقة كايور سنة 1886م[113]. في القرن العشرين نجد من شيوخ الطريقة التيجانية الحاج عبد الله أنياس والحاج مِلِك سي[114]، وكان هذا الأخير يدعو إلى الولاء التام لفرنسا التي تزايدت مخاوفها قبيل من المسلمين قبيل الحرب العالمية الأولى، وقامت السلطات الاستعمارية بتوزيع ندائه للمسلمين الذي، جاء فيه: "الله اختارهم (الفرنسيين) لحماية أشخاصنا وممتلكاتنا. لهذا علينا أن نعيش معهم في توافق تام ..."[115]، وكانت أكبر إشارة على هذا الولاء هو مقتل ابنه الأكبر أمادو دفاعاً عن الحلفاء في سالونيكا[116] سنة 1916م إضافة إلى تبرعه بالمال لمعالجة الجرحى وكان المقابل هو السماح له بتعليم القرآن الكريم والفقه، وتكريماً له قامت فرنسا بطبع 26 عملاً من أعماله الدينية في تونس[117]. من الشيوخ أيضاً نذكر الشيخ سيديا بابا، الذي أصدر فتوى في جانفي 1903م يقول فيها أن الجهاد يُضعف المجتمعات الإسلامية عندما تكون في حالة ضعف، ودعى إلى تقبُّل الحكم الفرنسي الذي أرسى – حسبه- السلام والاستقرار وقضى على الفتنة طالما أن الفرنسيين يحترمون حرية الدين والمؤسسات والعادات الدينية، بل أنه ساعد هنري غورو Gouraud على إتمام غزو جنوب ووسط

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

موريتاتيا[118]، وخلال الحرب العالمية الأولى أيَّد تجنيد شباب السنغال وموريتانيا في الجيش الفرنسي للقتال، وظل سيديا بابا مؤثراً في السياسة الفرنسية بالسنغال وموريتانيا حتى وفاته سنة 1924[119].

ومن الشيوخ الموالين لفرنسا أيضاً، نذكر الشيخ أحمادو بامبا، الذي كانت علاقته مع فرنسا في البداية متوترة جداً، والدليل أنه نُفي مرتين من قِبل الفرنسيين، الأولى ما بين 1895و1902م، والثانية ما بين 1903و1907م إلى موريتانيا؛ أين إلتقى مع أستاذه الشيخ سيديا. عندما اختلف مع أستاذه أسس طريقة صوفية جديدة هي الطريقة المريدية، وتحسّنت علاقته بالفرنسيين الذين تقربوا منه حينما كانت قضية انخراط المسلمين في الجيوش الفرنسية تشغل بالهم وطلبوا منه مساعدتهم في ذلك، وفعلاً سمح هذا الشيخ للسنغاليين بالانخراط في الجيش الفرنسي، وبفضله بلغ عدد المنخرطين خلال الحرب العالمية الأولى حوالي 70 ألف منخرط[120]. العامل الآخر الذي أجبر الفرنسيين على التقرب والتعامل مع الشيخ أحمادو بامبا هو الدور الذي أدَّاه في تنشيط الحياة الاقتصادية وزيادة الانتاج الزراعي، ووصل به الأمر إلى المساهمة بمبلغ 500 ألف فرنك للمساعدة على استقرار الفرنك الفرنسي[121]. ومكافأة له سمح له الفرنسيون ببناء مسجد في أفريل 1926م[122]، وكرَّمته السلطات الفرنسية بوسام الاستحقاق الفرنسي[123]، وحفاظاً على نهجه ودوره تدخلت فرنسا في اختيار ابنه الأكبر مامادو مصطفى لتولي مشيخة المريدية بعد وفاة والده[124].

كان اندلاع الحرب العالمية الأولى اختباراً حقيقياً لمدى موالاة هؤلاء الشيوخ لفرنسا، ومدى متانة العلاقة بين الطرفين، فعندما انقطعت العلاقات الدبلوماسية بين فرنسا والدولة العثمانية تخوفت الإدارة الاستعمارية في غرب إفريقيا من المسلمين، وما زاد من هذا التخوف ظهور الحركات الإصلاحية الإسلامية الجديدة في المنطقة مثل "الاتحاد الثقافي الإسلامي UCM" و"الجمعية الإسلامية للطلبة الأفارقة AMEA"[125]. هذا التخوف أدى بالحاكم كلوزيل إلى طلب اعطائه صلاحيات استعجالية، خاصة منها فرض حظر التجول، لكن هذه المخاوف تبدَّدت بسرعة مع بداية الحرب عندما تلقى الحاكم العام بونتي من الزعماء الدينيين المسلمين من كافة أرجاء إفريقيا الغربية الفرنسية ضمانات بالولاء لفرنسا، وبدون استثناء تقريباً كتب هؤلاء الزعماء الدينيين المسلمين خطابات وأشعار، تمجّد فرنسا وتدين العثمانيين والألمان نُشرت في عددين من مجلة "Revue du Monde Musulman". من هذه الخطابات ذلك الذي جاء على لسان الشيخ سيديا"بعد دخول الفرنسيين إلى بلاد التكرور والموريين والزنوج، الله، الكريم، الرحيم، العليم والحكيم أظهر فوائد جمة لم نرها أبداً من قبل. نخلي القبائل عن السلاح، إلغاء التصرفات الظالمة التي ورثناها عن أسلافنا، القضاء على السرقة وعقوبات الموت... فرنسا طوَّرت أيضاً العدالة والأمن لسكان الحواضر والأرياف في كل البلاد. لقد حفرت آباراً كثيرة، جاءت بالأطباء الأكفاء للأغنياء والفقراء... ندعو الله أن يثبِّت هذه القوة (فرنسا) وأن يحميها من كل

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الأعداء"[126]. وخلال فترة بين الحربين العالميتين، مثَّل الشيخ سيدو نورو حفيد الزعيم الحاج عمر انقلاباً كبيراً في العلاقة بين الفرنسيين وزعماء التيجانية، فبعد وفاة أستاذه وصِهره الشيخ ملك سي سنة 1922م اتخذته فرنسا سفيراً لها، وأرسلته في عدّة بعثات إلى الدول غير الإسلامية. وفي سنة 1939م كتب سيدو نورو بمناسبة العيد الوطني الفرنسي: «اليوم هي فرصة لنا نحن الفرنسيون ما وراء البحار للتأكيد على ارتباطنا بوطننا الأم الذي لا يتوقف على نشر السعادة والرفاهية وسط أطفاله الملونين. الجمهورية الفرنسية التي حصلت على حريتها ونشرتها في باقي أنحاء العالم حرَّرت أنفسنا من الأمراض، الفقر، العبودية والعادات الوحشية التي حرَمت إفريقيا السوداء من الازدهار"[127].

وحاصل القول، فإن الاستعمار الفرنسي استطاع أن يهيمن على ثلاث مناطق جغرافية رئيسية، هي منطقة الهند الصينية في جنوب شرق آسيا، وفي إفريقيا هيمن على الجزئين الشمالي والغربي منها. كل منطقة من المناطق الثلاث كانت لها خصوصياتها التي رسمت السياسة الفرنسية فيها، وفي غرب إفريقيا، وبعد دراسة متأنية، اقتنعت فرنسا بأن السيطرة على هذه المنطقة لن يتأتَّ إلا بالتحكم في المدارس القرآنية ومجاراة شيوخ الصوفية لِما لهما من تأثير في الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية بالمنطقة، ولذلك تمحورت السياسة الفرنسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي وطوال العقدين الأولَيْن من القرن العشرين ميلادي، حول كيفية التصدي واحتواء خطر هذه المدارس القرآنية وشيوخ الصوفية ليس بالقوة فقط وإنما بوسائل أخرى تكون أكثر نجاعة هي نشر التعليم الفرنسي والتعاون مع الزعماء الدينيين. ولتحقيق ذلك أصدرت فرنسا ترسانة من القوانين والمراسيم التنظيمية التي كانت نتيجتها في النهاية تحجيم دور المدارس القرآنية، والحصول على موالاة شيوخ الطرق الصوفية التي تأكَّدت عند بداية الحرب العالمية الأولى؛ بدعوة هؤلاء الشيوخ للشباب الإفريقي المسلم بالتعاون والقتال إلى جانب فرنسا ضد ألمانيا وضد الدولة العثمانية المسلمة.

الهوامش:

[1] دريد عبد القادر نوري: انتشار الإسلام في افريقيا جنوب الصحراء، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد 1، 2007، ص7

[2] جلال يحي: تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، ص27

[3] دريد عبد القادر نوري: المرجع السابق، ص8

[4] جلال يحي: المرجع السابق، ص 29

[5] عبد الله سالم محمد بازينة: انشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، منشورات جامعة 7 أكتوبر، مصراتة، ط1، 2010، ص 186

6 جلال يحي: المرجع السابق، ص 29

7 عبد الله سالم محمد بازينة: المرجع السابق، ص 115

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

8 محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية: المسلمون في غرب إفريقيا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007، ص39

9 المرجع نفسه، ص 39-40

10 دريد عبد القادر نوري: المرجع السابق، ص 10

11 عبد الله عبد الرازق: انتشار الإسلام في غرب إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 2006، ص 6

12 المرجع نفسه، ص 6

13 المرجع نفسه، ص 8

14 محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 44

[15] عبد الله عبد الرازق: المرجع السابق، ص 6

16 محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 45

17 المرجع نفسه، ص 46-47

[18] الريونيون: جزيرة بالمحيط الهندي شرق جزيرة مدغشقر تابعة حالياً لفرنسا، الغوادلوب: إقليم فرنسي يقع في جزر الأنتيل، المارتينيك: إقليم فرنسي في جزر الأنتيل، غويانا الفرنسية: إقليم فرنسي في شمال أمريكا الجنوبية

[19] Jean Dumont, L'histoire générale de l'Afrique, Editions Beauval, Paris, Tome5, 1971, p.246

[20] حلمي محروس إسماعيل: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر من الكشوف الجغرافية إلى قيام منظمة الوحدة الإفريقية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ج1، 2004، ص271

[21] Louis Sonolet, L'Afrique occidentale française, Librairie Hachette. Paris, 1912, p.2

[22] Louis Sonolet, Op. cit., p.2

[23] Robert Cornevin, Histoire de l'Afrique, Payot, Paris, Tome 2, 1966, p.346

[24] Ibid., pp.348-349

[25] Ibid., p.512

[26] Oliver Roland and Fage, J.D, A short history of Africa, Penguin books, London, 1995, p.129

[27] Jean Dumont, Op. cit., p.256

[28] Robert Cornevin, Op. cit., p.513

[29] Ibid., p.347

[30] Louis Sonolet, Op. cit., p.4

[31] حلمي محروس إسماعيل: المرجع السابق، ص278.

[32] المرجع نفسه، ص278.

[33] Jean Dumont, Op. cit., p.306

[34] Ibid., p.307

[35] حلمي محروس إسماعيل: المرجع السابق، ص276.

[36] Jean Dumont, Op. cit., p.312

[37] حلمي محروس إسماعيل: المرجع السابق، ص277.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

[38] Jean Dumont, Op. cit., p.319

[39] Ibid., p.1

[40] Ibid., p.303

[41] إلهام محمد علي ذهني: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي 1850-1914، دار المريخ، الرياض، 1988، ص 59.

[42] Hélène Grandhomme, Connaissance de l'islam et pouvoir colonial: l'exemple de France au Sénégal 1936–1957, French Colonial History, Vol.10, 2009, Michigan State University Press, p.174

[43] David Robinson, Paths of accommodation: Muslim Societies and French Colonial Authorities in Senegal and Mauritania 1880–1920, Ohio University Press, Athens, 2000, p.86

[44] Ibid., p.38

[45] Ibid., p.76

[46] Hélène Grandhomme, Op. cit., p.178

[47] Donal Cruise O'Brien, Towards an Islamic Policy in French West Africa 1854–1914, The journal of African History, Vol.8, No.2, 1967, p. 309

[48] David Robinson, Op. cit., p.39

[49] Hélène Grandhomme, Op. cit., p.179

[50] Christopher Harrison, France and Islam in West Africa 1860–1960, Cambridge University Press, Cambridge, 1988, p43–44

[51] Ibid., p.157

[52] Hélène Grandhomme, Op. cit., p.179–180

[53] Christopher Harrison, Op. cit., p.66

[54] Ibid., p.58

[55] Marie–Laurence Bayet, L'enseignement primaire au Sénégal de 1903 à 1920, Revue française de pédagogie, Vol.20, 1972, p.39

[56] Denise Bouche, L'école française et les musulmans au Sénégal de 1850 à 1920, Revue française d'histoire d'outre–mer, Tome 61, No. 223, 1974, p.223

[57] Marie–Laurence Bayet, Op. cit., p.39

[58] Christopher Harrison, Op. cit., p.57–58

[59] Denise Bouche, Op. cit., p.228

[60] Marie–Laurence Bayet, Op. cit., p.38

[61] Denise Bouche, Op. cit., p.225

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

[62] Anna Pondopoulo, La medersa de Saint-louis-du-Sénégal (1908-1914): un lieu de transfert entre l'école française et l'école coranique?, Outre-mers (revue d'histoire), Tome 94, No. 356-357, 2007, p.64

[63] Ibid., p.64

[64] Denise Bouche, Op. cit., p.222

[65] Ibid., p.222-224

[66] Marie-Laurence Bayet, Op. cit., p.34

[67] Ibid., p.34

[68] Christopher Harrison, Op. cit., p.60

[69] Denise Bouche, Op. cit., p.224

[70] Ibid., p.226

[71] Marie-Laurence Bayet, Op. cit., p.34

[72] Ibid., p.35

[73] Ibid., p.35-36

[74] Denise Bouche, Op. cit., p.230-231

[75] Marie-Laurence Bayet, Op. cit., p.36

[76] Christopher Harrison, Op. cit., p.65

[77] Denise Bouche, Op. cit., p.226

[78] Ibid., p.232

[79] Marie-Laurence Bayet, Op. cit., p.36

[80] Christopher Harrison, Op. cit., p.64

[81] Ibid., p.51

[82] Ibid., p.51-52

[83] Ibid., p.51

[84] Ibid., p.15

[85] Ibid., p.62

[86] Anna Pondopoulo, Op. cit., p.63

[87] Ibid., p.64

[88] Christopher Harrison, Op. cit., p.65

[89] Ibid., p.62

[90] Marie-Laurence Bayet, Op. cit., p.39

[91] Christopher Harrison, Op. cit., p.64

[92] Anna Pondopoulo, Op. cit., p.67

[93] Marie-Laurence Bayet, Op. cit., p.39

[94] Anna Pondopoulo, Op. cit., p.63

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

[95] Marie-Laurence Bayet, Op. cit., p.39
[96] Denise Bouche, Op. cit., p.229
[97] عبد القادر زبادية: دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2010،ص 225
[98] Hélène Grandhomme, Op. cit., p.174
[99] Ibid., p.174
[100] Christopher Harrison, Op. cit., p.170
[101] Ibid., p.51
[102] Jean Dumont, p.305
[103] Le général Faidherbe, p.447
[104] Donal Cruise O'Brien, Op. cit., p.313
[105] David Robinson, Op. cit., p.80
[106] Christopher Harrison, Op. cit., p.188
[107] Donal Cruise O'Brien, Op. cit., p.305
[108] Ibid., p.304
[109] Ibid., p.311
[110] Christopher Harrison, Op. cit., p.186-188
[111]- الزيارة هي مناسبة دينية صوفية، يتم الاحتفاء بها سنوياً، وتسمى في بعض مناطق الجزائر بـ: "الوعدة".
[112] Hélène Grandhomme, Op. cit., p.176
[113] David Robinson, Op. cit., p.88
[114] Christopher Harrison, Op. cit., p.119
[115] David Robinson, Op. cit., p.204
[116]- في اليونان جنوب شرق أوربا.
[117] David Robinson, Op. cit., p.205
[118] Ibid., p.179
[119] Ibid., p.191
[120] عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 243
[121] Christopher Harrison, Op. cit., p.166
[122] Ibid., p.166
[123] عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 243
[124] Christopher Harrison, Op. cit., p.166
[125] Hélène Grandhomme, Op. cit., p.177
[126] Christopher Harrison, Op. cit., p.119
[127] Ibid., p.171